العصبية و موقف الإسلام مؤكدا على العصر الجاهلي

The neural and the position of Islam, emphasizing the ignorant age

إعداد

د. عباس اقبالي

استاذ مشارک في فرع اللغة و الأدب العربي بجامعة كاشان - ايران

سمية خداوردي

طالبة الدكتوراه في فرع اللغة و الأدب العربي بجامعة كاشان – ايران

Doi 10.12816/jnal.2020.105854

الاستلام: ٢٠٢٠/٥/٧ القبول : ٢٠٢٠/٥/٣٠

المستَخلص :

العصبية ظاهرة نفسية و اجتماعية تقوم على صلة النسب والدم. وقد ارتبطت بالعنصرية و الحمية و الغلو والتمييز العنصري و قد سائدت هذه الظاهرة على المجتمع البشري و في أنواعها المختلفة من الانتماء القبلي و وحدة الدم، والعرقية والعصبية الدينية المجوسية أو الوثنية والمذاهب الباطلة والخرافات و قد شدّت صاحبها إلي رعايتها للمحافظة على كيانها القبلي أو ما اعتنق بها. وقد تطرّق هذا المقال إلى رصد مكانة هذه الظاهرة في العصر الجاهلي و موقف الاسلام فيها، متبعا المنهج الوصفي-التحليلي؛ فقد وصلت هذه الدراسة إلى أنّ للعصبية وجوه سلبيّة و إيجابية؛ ففي مجال وجهها السلبية ؛كان الجاهليون ذا عصبية قبلية و عرقية و متعصّبا بما وجدوا فيها آبائهم. والقرآن يشير إلى بعض مظاهر هذه العصبية و يعتبرها رادعا لقبول صاحبها الحق،كما أنّ الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) ينددد العصبية القومية و العرقيّة و يصرّح بأنّ الناس سواء كأسنان المشط. و في وجهها الإيجابية؛ العرو لايزال يتعصّب بالأنساب و يتحمس في رعاية لغتهم العربية صونا لثقافتهم تجاه اللغات الأجنبية و تحديات العولمة.

الكلمات المفتاحية: جاهلية ؛ عصبية ؛ قبلية ؛ عرقية ؛ إسلام.

Abstract:

Neurology is a social phenomenon based on blood and lineage. It has been associated with racism, fever, exaggeration and

racial discrimination. Out. This article touched on the status of this phenomenon in the pre-Islamic era and Islam was adopted following the descriptive-analytical approach; this study found that nervousness has negative and positive faces; in the area of its negative face; their parents. The Koran refers to some aspects of this nervousness and considers it a deterrent to the acceptance of its rightful owner, and the Prophet (peace be upon him) denounces the national and ethnic nervousness and declares that people both as comb teeth. In its positive face, the Arabs were still genuinely fanatical and enthusiastic in nurturing their Arabic to preserve their culture towards foreign languages and the challenges of globalization..

Keywords: ignorance ؛ nervousness ؛ Islam ؛ tribalism ؛ ethnicity.

المقدمة

العصبية ظاهرة اجتماعية لا تزال تحكم المجتمات البشرية و هي من أهم النزعات الاجتماعية التي تربط الفرد البشري بالجماعات و تجعلها يحبها و يعتزّ بالانتساب إليها و يغلو من أجلها و يضحى في سبيلها بماله و نفسه؛ فتعتبر كوسيلة للحفاظ على بقاء القومية و الأعراف و ما اعتنقها ابناء المجتمع. إنّها حالة نفسية ترفض العقلانية و دافع إلى بعض اعمال السفاهة؛ فليست محصورة في الجاهلية العربية و لا في فترة من الزمن بل يمكن أن توجد في أيّ مكان و على مدار التاريخ؛ فقد عانت الجماعات البشرية من عصبيات متعددة؛ فالعصبية و ما زالت من أخطر المظاهر الاجتماعية التي فرضتها البيئة على الإنسان منذ القدم، و رافقته خلال تطور مراحل حياته. لقد ارتبطت هذه الظاهرة العريقة بالعنصرية و الحمية و الغلو والتمييز العنصري. وفي الحياة الجاهلية تبلورت العصبية في انواعها المختلفة من الانتماء القبلي، والعصبية الدينية التي تجلّت في معالجة اعتناق المجوسية أو الوثنية و المذاهب الباطلة و الخرافات. و قد عالجها الإسلام في المجالات المختلفة منها ما أشار اليها في الآية الشريفة: أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (المائدة :٥٠)؛ ففي هذا المقال سنعالج هذه الظاهرة و ذلک عبر دراسة النصوص الأدبية و القرآن و الأحاديث، متبعين المنهج التوصيفي ـــ التحليلي؛ فهناک أسئلة منها:

- هل العصبية ظاهرة اجتماعية ذات أهداف سياسية؟
- هل العصبية في العصر الجاهلي ذات أوجه ايجابية ؟

- كيف كان موقف الإسلام إزاء العصبيات الجاهلية؟

٢-سابقية البحث و ضرورتها

لعل من أهم الدراسات التي تطرقت إلى مسألة العصبية، هي دراسة العلامة عبد الرحمن بن خلدون في كتابه (المقدمة) الذي ألّفه سنة (٧٧٦ ه/١٣٧٧م)، وقد تبيّن فيه دور العصبية والدعوة الدينية في تأسيس الملك والسلطان أو الدول في التاريخ الإسلامي عامةً، وفي المغرب الإسلامي الذي عاين أحداثه بشكل خاص. كما توجد مقالات في هذا المجال منها " العصبية القبلية سلوك فردي أم ظاهرة اجتماعية سياسية" لعلى ابراهيمى و فيصل احمد بجامعة ملايا؛ فقد درس فيه العصبية القبلية و ما لها من التأثير الكبير على الواقع السياسي و الاجتماعي بالجزيرة العربية و كذلك مقال باسم " جدل العصبية القبلية و القيم في نماذج من الشعر الجاهلي لدكتور على مصطفى عشّا؛ فقد سعى المؤلف فيه لتحليل حقيقة الإنتماء القبلي وجدل العصبية و القيم في الشعر الجاهلي.

فبالرغم من سابقية هذه الظاهرة و مدى تأثيرها على تاريخ الأدب السياسي و الاجتماعي قبل الإسلام و بعده و موقف الإسلام تجاه مظاهرها، ما عثرنا على بحث مستقل في هذا المجال؛ فاهتمنا بدراسة هذه الظاهرة كبحث بديع و ذات أهمية في التعرف على الثقافة السائدة علي الوجدان الجاهلي و بيان دور الإسلام في تعديل هذه الظاهرة.

٣- مباني البحث

العصبية فى اللغة: مشتقة من العصب و هي الطيّ الشديد[١] و التعصّب من العصبية و هي أم يدعو الرجل إلى نصرة عصبته و التألّب معهم على من يناويهم ضالمين كانوا أو مظلومين.[٢] وفي الواقع العصبية هي عبارة عن رابطة معنوية ذهنية، تصل وشائج القربى، وتشد اللحمة بين الأقرباء، والأولياء و بعبارة أخرى هي الموالاة بشكل تام للقبيلة أو العشيرة أوالعائلة ومناصرتها ظالمة أو مظلومة.[٣]

«ويعدّ الانتماء القبلي الركيزة الأساسية في الحياة القبيلة، وكانت العصبية مظهراً لهذا الانتماء، وهي التي تلعب دورا في وحدة القبيلة وجعلها في المصير والغاية. فاستطاعت العصبية أن تخلق مركزية لها في الوجدان الجاهلي »[٤].

معلوم أنّ القبيلة أساس الحياة الاجتماعية في المجتمع البدوي، وهي عبارة عن أسرة كبيرة تتألف من ثلاث طبقات: أبناؤها و هم الذين يربط بينهم الدم والنسب و هم عمادها

---

١ . محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم ،١٣٦٣، ج١،ص ٦٠٢.

٢. نفس المصدر، ص ٦٠٦.

٣. ويكيبيديا ، الموسوعة الحرّة.

٤. على مصطفى، عشّا، جدل العصبية القبلية والقيم في نماذج من الشعر الجاهلي، الاردن، الجامعة الهاشمية، الزرقاء ، .(د.ت)،ص٤.

وقوامها، ثم العبيد، وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية. والموالي، وهم عتقاؤها يدخل فيهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم، ونَفَتهم عنها لكثرة جرائرهم وجناياتهم[٥]. وكانت رابطة الدم أقوى و أوضح من الرابطة القومية؛ لأن العصبية تدعو إلى نصرة أفراد قبيلته ظالمين كانوا أو مظلومين. وتقوم العصبية على النَسَب؛ فإنّها تختلف باختلاف الالتحام بالأنساب.[٦] وقد أشار جواد إلى أن العصبية عند العرب كانت على قسمين: عصبية الدم، وهي أساس القرابة في البيت الواحد، ومصدر الترابط الوثيق بين أفراد القبيلة والأسرة، و عصبية الانتماء إلى أب بعيد أو جد مشترك من نسله تكوّنت القبيلة أو القبائل المنتمية إليه[٧].

وقد كانت القبيلة هي الحدة السياسية عند العرب في الجاهلية؛ ذلك لأن القبيلة جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد مشترك تجمعهم وحدة الجماعة، وتربطهم رابطة العصبية القبلية للأهل والعشيرة. ورابطة العصبيّة هي الشعور التماسك والتضامن والإندماج بين من تربطهم رابطة الدم، و على هذا النحو كانت العصبية مصدر القوة السياسية والدفاعية التي تربط بين أفراد القبيلة[٨].

الظروف السائدة في الحياة الجاهلية توجب أن تعيش أبناء المجتمع مع القبيلة و غير منعزل عن القوم؛ فنرى الشنفرى (الشاعر الصعلوك الجاهلي) حين يدعو أبناء أمّه (قبيلته) إلى المصاحبة في السفر، يؤكد أنّه لا يطرد القومية بل يريد التعايش مع قوم آخر و يقول :

أقيموا بني أمّي صدور مطّيكم فإنّي إلى قوم سواكم لأميل[٩]

وكان للقبائل العربية دستور عُرفي عام يشترك فيه كل أفراد القبيلة، و هذا الدُستور ينحصر في كلمة واحدة ليست إلاّ العصبية، وإذا كان الدستور هوالقانون الأساسي، فإن قواعده كلها انبتت على العصبية؛[١٠]

فالرابطة القبلية هي الهوية الاستراتيجية، التي كانت تأخذ الدور الحاسم في تشكيل الوعى العربي في العصر الجاهلي. وتجسّمت هذه الرابطة بالعصبية التي تعدّ قوام الحياة القبلية، وتعني وحدة القبلية باعتبارها كلاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وهي المرجعية

٥. احمد شوقى، تاريخ الأدب العربى العصر الجاهلي، مصر، دار المعارف،٢٠٠٣، ص٦٧.
٦ . يحيى عبد الرؤوف، جبر، تجليات اللغات الجاهلية في لغة السور المكية ، جامعة النجاح الوطنية،٢٠١٢ ، ص٣٠.
٧. جواد،على، المفصل في تاريخ العرب، بيروت ، دارالساقي، ١ج١، ٢٠٠١، ص٣٠.
٨ . نفس المصدر، ص ٦٠ (المنقول عن منال يعقوب، ٢٠١٢،ص ١٦).
٩ .فؤاد أفرام، البستاني، المجاني الحديثة،بيروت، دارالمشرق، ١٩٨٢، ص٧.
١٠. الشريف، د ت، ص٧١، المنقول عن منال يعقوب، ٢٠١٢، ١٦

والشرعية الأخلاقية.[١١] تمسک البدو بالقبيلة، حتى صارت عندهم «أساس الحياة الاجتماعية».[١٢]

قسم ابن خلدون العصبية القبلية إلى قسمين هما: العصبية الممدوحة، والعصبية المذمومة، فالعصبية الممدوحة هي التي تحثّ على الحق، ونصرة المظلوم على الظالم، وقد قال الرسول ص: «خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم». و العصبية المذمومة التي تقوم على الباطل ونصرة الظالمين، وقد ذم الإسلام هذه العصبية بآيات وأحاديث عديدة، ومن ذلک قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: «ليس منّا من دعا إلى العصبية أو قاتل عصبية».[١٣]

ومن هنا يتضح الفرق بين العصبية الممدوحة والعصبية المذمومة، فالممدوحة منها قد أينعت ثمارها عندما ساقت العرب الجاهلي إلى الدين الاسلامي؛ وأما العصبية المذمومة فقد وقفت سداً منيعاً أمام تكوين أمة موحدة في العصر الجاهلي، وامتدت آثارها السلبى فيما بعد.

٢- محاور البحث

إنّ هذه الظاهرة في العصر الجاهلي قد تبلورت في مظاهر شتّى منها: العصبية القبلية والعصبية العرقية والثأر والعصبية الدينية والمذهبية.

٤- ١- العصبية القبَلية أو القومية

كان للحياة السياسية في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام مظهران: مظهر سياسي، و مظهر قبلي . أما مظهر السياسي فكان يتمثل في الإمارات العربية الشمالية (المناذرة و الغساسنة و كندة) و حواضر الحجاز (مكة و الطائف و يثرب) أما المظهر القبلي فيتمثل في القبائل البدوية، ذات الحكم القبلي، وكان رئاسة بالعصبة.و قد سائد على عرفها العصبية القبلية؛ فالعرب الجاهلي كان متعصّبا بما ترتبط بالقبلية كالعرق و الطقوس الدينية و استخدام اللهجة الخاصّة بالقبيلة و كان يدافع عن المراعي الصحراوية الخاصّة بالقبيلة . و بعبارة أخرى؛ كان الرباط الذييثق الصلة بين أفراد القبيلة هو العصبية ، و هي عصبية قبلية.[١٤] وكانت هذه العصبيَّة تناسب الجماعة المنسوبة إليها، فالمتعصّب

---

١١. على مصطفى، عشّا، جدل العصبية القبلية والقيم في نماذج من الشعر الجاهلي، الاردن، الجامعة الهاشمية، الزرقاء، (د.ت)،ص ٢.

١٢ . فيليب حتّى، وادوارد جرجى و جبرائيل جبوز، تاريخ العرب، بيروت، دار الكشاف، ١٩٦٥، ص ٣٣.

١٣. محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، أدب الحوزة، قم ايران، ١٣٦٣، ج١، ص٦٠٦.

١٤. ضيف، شوقى، تاريخ الأدب العربى، العصر الجاهلي، مصر، دارالمعارف،٢٠٠٣،ص ٥٧.

يتعصب لأسرته على سائر الأسر، والبطن الذي هو منه على سائر البطون، كما تقتضي أموراً تدلُّ عليها أشعارهم.

فكانت القبيلة أو العشيرة هي الوحدة السياسية و الاجتماعية التي يعيش أفرادها في إطارها، وتحت ظلّها، ويخلصون الولاء لها، و يخضعون لمبادئها وتقاليدها، دون قيد و شرط و تقابل العصبية الجاهلية بصورة عامة: الوطنية العصرية، من طراز الوطنية المتحمسة المتطرفة.[١٥]

كما أشزنا آنفا إن رابطة الدم هي أساس التنظيم الأسرى في مجتمع الصرحاء الجاهلي؛ فالعشيرة الأبوية أسرة كبيرة، تحمي أفرادها، وترعاهم، وتمنحهم الطمأنينة، ولكن الانتماء الصرحاء إلى جماعتهم الأبوية لم يكن مغلقاً تماماً، فثمة منافذ انطلقت منها أواصر التقارب بين الجماعات الأبوية، وكانت المصاهرة أحد المنافذ الرئيسة لذلك التقارب الذي وقفنا على بعض مظاهره في وجود علاقات ودية بين الأخوال وابناء أخواتهم.[١٦]

كان العرب يتعصّب بالأحساب و الأنساب و يعتز بهما و قد ارتقى هذا الاعتزاز إلى مرتبة القداسة، و معلوم أنّ القداسة توجب التقديس فيهتمّون بها و ينشدونها في آغراضهم الشعرية و قلّما يجرؤ أحد أن يتعرّض له ، وإلا فالحرب والعداوة التي قد تمتد أجيالا، فقد تهدأ أحيانا كحرب البسوس و هو من حروب الجاهلية بين فرعين من قبيلة غطفان وحرب الفجار وحرب بعاث و هما من أطول الحروب التي عاشها وخاضها العرب في الجاهلية فإنّ حرب البسوس قد اندلعت اثر مباراة جرت بين فرسين باسم داحس و غبراء المنتميان إلى قبيلتي .

فلا عجب أنّ أغراض الشعر العربي، وأهمها: الفخر والمدح ونقيضه الهجاء وكذا الرثاء، كلها تدور في حلقة تدل على عصبية الشاعر لمقومات القبيلة؛ منها الحسب و النسب؛ فنرى أنّ الشاعر الجاهلي عندما يفتخر يهتف بالمآثر القبلية ليطغى على غيره من أصوات القبائل المعادية، فيصير الشاعر صوتا يعرب عن أماني قبيلته؛ وفي محال الرثاء يصف مكانة المرثى في القبيلة هدف القبيلة و رموزها و يذكر إسم القبيلة و ما ينتسب إليها من المساوي حقّا كان أو غير حقّ.

و هذا لبيد يقول:

قومي اولئک إن سألتِ بخيمهم و لكل قوم في النوائب حيم
و لهم حلوم كالجبال و سادة نُجب و فرعٌ ماجد و أروم

---

١٥. احمد محمد جمال، محاضرات فى ثقافة الاسلامية، بيروت، دار الكتاب العربى ، ص ١٥٠.

١٦. احمد فاروق، إسليم، الانتماء في الشعر الجاهلي ، بيروت، اتحاد الكتاب العرب،١٩٩٨، ص ٩٣.

فإنّ الشاعر يفاخر بقومه راسخ الخطي ثابت العزم ، يمجّد القبلية التي مجدته ، فإذا الفردي بعض القبلي.[١٧]

وكانت القبيلة إذا مدحت فاخرت سائر القبائل. و يحكى أنّ شعراء تميم كانوا يذكرون قيسا بالمدح و الاعجاب؛ فافتخرت قيس على تميم. كما فى الهجو يهجو الشاعر "الحبطات" يعني بطنا من قبيلة "تميم"و يقول:

رأيت الحمر من شرّ المطايا كما الحبطات شرّ بني تميم.[١٨]

ناهيک لقد شاع في أغراض الشعر الجاهلي؛ الرثاء القبلي و البكاء على أبطال القبيلة؛ لذلک شاع البكاء على أبطال القبيلة؛ فقتلى القبيلة لدى عبيد بن الأبرص جديرون بالدموع الغريزة فهم ركنها الذي تداعى و شرفها الذي تعتزّ به و يقول:

إلا يا عين فابكيهم بدمع منک مستغرب
فإن أبک فهم عزّي و هم أصلي و هم فرعي
و هم نسبي إذا أنسب و هم مجدي و هم شرفي
و هم حصنـي إذا أرهب[١٩]

و من ذلک قول ربيعة بن مكدّم الكناني يصف نفسه بأنّه أكرم الناس:

أنا ابن عبد الله محمود الشيّم
مؤتمن الغيب وفي بالدّمم
أكرم من يمشي بساق وقدم [٢٠]

فهذا عمرو بن كلثوم يقول:

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا [٢١]

الشاعر الجاهلي يصف قبيلته (تغلب) بأنّها ذات سيادة و قيادة و غيرها أتباع لها؛ فيأخذ لها من كّل شيء أفضله و يدع لغيرها أرذله ويقول:

و نشرب إن وردنا المـاء صفوا و يشرب غيرنا كدرا و طينا[٢٢]

ويستمر "إذا بلغ صبيانا وقت الفطام سجدت لهم الجبابرة من غيرنا:

---

١٧ غازى طليمات، الادب الجاهلي، قضايا ـ أغراضه ـ أعلامه ـ فنونه، بيروت، دارالفكر ، ٢٠٠٧، ص٤٦٥.

١٨. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ط٢، مصر، مطبعة الهلال ، ١٩٧٢، ج ١،ص٨٩.

١٩. غازى طليمات، الادب الجاهلي، قضايا ـ أغراضه ـ أعلامه ـ فنونه، بيروت، دارالفكر ، ٢٠٠٧، ص ٢٤٥.

٢٠. ديوان إمرىءالقيس، بيروت، لبنان، دار صادر ، ١٩٨٦، ص٦٥.

٢١. حسين الزوزني، شرح المعلقات السبع ،بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)،ص ١١٥.

٢٢. نفس المصدر.

إذا بلغ الفطام لنا صبيّ تخرّ له الجبابرة ساجدينا[٢٣]

و في هذا المجال كان يتعصّب لذوي القربى و يعتبر ظلمه أشدّ مضاضة من وقع السيف الهندي؛ فيقول الشاعر:

و ظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة على المرء من نقع الحسام المهنّد[٢٤]

ومن مظاهر هذه العصبية هي المفاخرة و المعاظمة و المقارعة بين القبائل و أحيائهم؛ فإنّهم يتنافسون في كلّ شيء، حتّى في المصائب و هي المعاظمة. و من قبيل المقارعة؛ ما جرت بين قبيلتين في أنّ أيّهما أشعر؟ كما جرى بين عمر بن أبي ربيعة و الفضل بن عباس اللهي في المسجد الحرام ؛ فأخذ كلّ منهم يورد أشعارا لأبناء قبيلته و يبرهن على أنّها احسن مما قاله الشعراء من القبيلة الأخرى.[٢٥]

٤-٢- العصبية العرقية

أما العصبية و الغلو و التفاخر بالأنساب فيبعد صاحبها من الاتحاد و الاتساق وهي سلوک يتسم بالاستعلاء و اللامساواة «إذ المغالاة في التعصب للجماعة الأبوية كانت معلماً نقيضاً للتواصل بين الجماعات الأبوية الصريحة، فالمغالاة قادت أصحابها إلى تضخيم الذات والجماعة على حساب الآخرين، وأدت إلى حروب طاحنة، وظلم كثير، وأوهام تعوق التطور والتقدّم».[٢٦]

لقد كان الفرد الصريح برى أنه خير الناس، و هى نفس العنصرية المتفشية في عصرنا فهي مجموعة من الممارسات الخاطئة بحيث يتم خلالها تسلب حقوق الآخرين و تتحكّم بهم بمجرد أنّهم ينتمون لدين ما وعرقٍ آخر، وتسبّبت في تفرقة الناس واندلاع الحروب، و العرب الجاهلي على أساس هذه العنصرية كان يتعصّب للغتها و يسعى في حفاظها و عندما يريد استعمال مفردة من مفردات سائر [٢٧] اللغات يتعامل معه معاملة الأجني و لاتزال مستمرّة؛ فتغيير الأصوات في كلمات نحو شيشان(معرّب چچن الفارسية)، و تشنار(معرب چنار الفارسية) أو اعتبار العجمة من موجبات منع الصرف لبعض المفردات، هى من شواهد هذه العصبية للغتهم العربية.

---

٢٣. نفس المصدر.

٢٤. غازى طليمات، الادب الجاهلي، قضايا ـ أغراضه ـ أعلامه ـ فنونه، بيروت، دارالفكر ، ٢٠٠٧، ص٤٣٠.

٢٥. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ط٢، مصر، مطبعة الهلال ، ١٩٧٢، ج ١،ص ٨٦.

٢٦. احمد فاروق، إسليم، الانتماء في الشعر الجاهلي ، بيروت، اتحاد الكتاب العرب،١٩٩٨، ص ٦٢.

٢٧. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربى العصر الجاهلي، مصر، بيروت، دار المعارف، دار الصداقة العربية ، ٢٠٠٣،ص ٧٩.

٤-٣- عصبية الثأر

إن النفسية الجاهلية نفسية مضطربة تجتمع فيها متناقضات الوجود المحيط، إنها نفسية الطفل في أولى تجلياتها، ومن خلال هذا يمكننا أن نفهم قول بعضهم إن الجاهلي، البدوي بخاصة، أقرب إلى الخير منه إلى الشر. كان الطابع البدوي هو الأغلب الأعم في الجاهلية، على الرغم من تحضّر قسم كبير من عرب الجنوب، و بعض عرب الشمال، فمعظم الشماليين بدو رحَّل.[٢٨] وتمسك البدو بالقبيلة، حتى صارت عندهم «أساس الحياة الإجتماعية».[٢٩] وكان الفرد يخضع خضوعاً تاماً لقبيلته، ويخدمها مدفوعاً إلى ذلك بحكم عصبيته و رابطة الدم أو الولاء. و لا يمكن لأحد أن يتسامح في هذه المسألة مع أى من الأفراد.[٣٠] و بذلك كثر الصراع بين القبائل دفاعا عن منافع القبيلة و مصالحها و كثرت أيام العرب جداً وقد يكون من المعتذر الاحاطة بها لأنَّ سكانَ الجزيرة العربية و البدو منهم بصورة خاصة كانوا في حرب تكاد دائمة وذلك لأسباب املتها عليهم بيئتهم الطبيعية و كان أبرزها العامل الاقتصادي يضاف اليه التعصب القبلي و الثأر للكرامة و حفظ الجوار و الانتصار للحليف وقد أشارت المصنفات التي أتت عن ذكر أيام العرب إلى كثرة هذه الأيام واستحالة تقصيها، فقذ ذكر ابن الأثير في مقدمة الباب الذي سرد فيه ما يناهز السبعين يوماً[٣١]: « ونحن نذكر الأيام المشهورة والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمع كثير وقتال شديد ولم أعرج على ذكر غارات تشتمل النفر اليسير لأنّه يكثر ويخرج عن الحصر.[٣٢]

وكان للنساء دور في الحروب فقد اصطحبن الرجال في غزواتهم لكي يشددن عزائمهم بأناشيدهنّ، ولندبتهم عندما يموت فارس فكانت المرأة تحضّ على الثأر في الحروب.[٣٣] و كانوا يظنون أنّ «الدم لا يغسله إلا الدم».[٣٤]

---

٢٨ . أحمد أمين، فجر الاسلام، ط١٠، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ١٩٤١، ص٩.

٢٩. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربى العصر الجاهلي، مصر، بيروت، دار المعارف، ٢٠٠٣،ص٨٥.

٣٠. ديزيره سقال، العرب في العصر الجاهلي ، بيروت، دار الصداقة العربية، ١٩٩٥،ص٨٦.

٣١. الجبوري، يحيى، «شعر المخضرمين و أثر الاسلام فيه»، مؤسسة الرسالة ناشرون ، الطبعة الخامسة، ١٤١٩ ه-١٩٩٨م. ج٢، ص٩٣.

٣٢. نفس المصدر؛ ص٤٤٤،ص١١٤.

٣٣. ديزيره سقال، العرب في العصر الجاهلي ، بيروت، دار الصداقة العربية، ١٩٩٥، ص٩٥.

٣٤. نفس المصدر، المنقول عن فيليب حتي، ج ١ص٣٣.

فقد كان الرجل يحرّم على نفسه الشراب والنساء و الملذات حتى يأثر. فإن قتل أحد الأفراد، لبّت القبيلة كلها نداء الدم، وقامت بينها و بين القبائل الأخرى حروب لا تلبث أن تستفحل وتستعر، فيسقط القتلى، وتتراكم الثارات حتى إذا ما تفاقم الأمر دُفِعت الديةُ، و توقفت الحرب الطويلة فأهم أمر عند الجاهلة لصون الكرامة هو طلب الثأر.[٣٥]

والإسراف في القتل طلباً للثأر قاد الجماعات الأبوية إلى ظلم بعضها بعضاً وإلى تقطيع أواصر العلاقات الإنسانية التي تشدّ بعضها إلى بعض الاخر. ومن الإيغال في التعصب للجماعة الأبوية أن تقرّ نفس الصريح بظلم غيره؛ فالطفيل الغنوي يفخر باجتماع كلمة قومة اجتماعاً يقدرها على ظلم الآخرين مثلما يقدرهم على درء المظالم عن أنفسهم.[٣٦] يقول الطفيل:

ألقينا رُمحاً على الناس واجداً فنظلمُ أو تأبى على مَن تظلما[٣٧]

لاشك أن هذه العصبية القبلية تلعب دورا هاما في تجذير ظاهرة الثأر في المجتمعات القبلية ، فالمناطق التي تقوى فيها العصبية القبلية وترتفع أهمية الانتماء القبلي فيها فان نسبة الثأر تكون أكثر ارتفاعا,ويعد الثأر للقتيل من المهام الرئيسية للقبيلة، والقبيلة القوية تشدد الطلب في هذا المنحى "وكانت النساء دائبات على اشعال الحفيظة للثأر، وكن لا يقترن عن تذكير الرجال به،وخصهم عليه بوسائل شتى، ولعل الرجال لم يكونوا بحاجة الى هذا الحض وإنما أرادت النساء أن يشاركونهم في التلهف على ادراك الثأر والتشوق لغسل الدم ومحو العار ،

تقول امأرة من ضبة لقومها :ارفضوا الدية وأذيقوا خصومكم سلاحكم ، فان لم تفعلوا وتثأروا فلا جلبت نوقكم لبنا؛ فحرضت كنزة أم شملة بن برد المنقرى ولدها شملة على الثأر بقولها" :إني واثقة من شجاعة ابني وثأره من خصومنا، فاستجاب لها وثأر

إن يك ظني صادقا وهو صادقي بشملة يحسبهم بها محسبا أزلا

فيا شمل شمرا واطلب بالذي أصبت ولا تقيل منهم قصاصا ولا عقلا

فالنساء كنّ دائبات على اشعال نار الفتنة و بداية التحريض ومن ثمة تلبية واستجابة للثأر للقتيل، فالحياة العربية جعلت من وجود هذه الظاهرة حمية لإشعال نار الفتنة ودوام الحر وب بين القبائل بحيث كانوا يرفضون قبول الدية.

٤-٤- العصبية الدينية و المذهبية

---

٣٥. نفس المصدر، ١٩٩٥، ص٩٨.

٣٦، احمد فاروق، إسليم، الانتماء في الشعر الجاهلي ، بيروت، اتحاد الكتاب العرب،١٩٩٨، ،ص٧٠،

٣٧. ديوان طفيل الغنوي، الباحث: حسان فلاح أوغل، بيروت، لبنان، دار صادر ١٩٩٧، ص ١١٢.

تعد الحياة العقلية عند العرب في العصر الجاهلي شبيهة إلى حد بعيد بالحياة العقلية عند جميع الشعوب و المجتمعات في طور بداوتها، من قبل أن تصل إلى طور النضج الفكري، والتكامل العقلي، حيث نجد أن العادة هي المسيطرة على عقله. وقد أشار احمد أمين إلى أطباع العرب وتفكيرهم، يقول: يتجلي لدى العربي أحياناً شيء من ضعف التعليل، وهو عدم القدرة على فهم الإرتباط بين العلة و المعلول، و السبب و المسبب فهماً تاماً إذا مرض أحدهم فيصفون له علاجاً، فيفهم نوعاً من الارتباط بين الداء والدواء، ولكن لا يفهمه العقل الدقيق الذي يتقلسف، يفهم أن عادة القبيلة أن نتاول هذا الدواء عند هذا الداء أو أن سبب المرض روح شريرة حلت فيه فيداويه بما يطرد هذه الأرواح.[٣٨]

إن دياني العرب قبل الإسلام كانت تتميز بالتشتت والتجزء، ولكونها ديانات قبلية، تعتمد في المقام الدول على المعبود الخاص بكل قبيلته، سواء كان متمثلا في الأصنام والأوثان، أو في الكواكب والظواهر الطبيعية، أو في الأرواح التي تسكن هذه الأشياء، ومعنى هذا أن العرب لم يكن لديهم إحساس ديني عام،يمكن أن يجمعهم وبتقرب بهم من درجة التوحيد الديني، أو حتى الالتفات حول عدد محدد من المعبودات.[٣٩]

ومنهم من عبد كوكباً أو اعتنق المجوسية أو غيرها، و كان فيهم من أصحاب الدهر. ومنهم مَن أشاح لوجهه عن كلِّ العبادات ملتمساً و منتظراً من يحدد الحنفية الموحدة – دين ابراهيم. وقد أشار القرآن الكريم لكل ذلك. فالجاهلية من هذه الناحية وثنية سائدة قبل الإسلام.[٤٠] و كان معظم يدين بالوثنية بالرغم من اعتناق بعضهم فى اليمن و الحجاز و اليهودية والنصرانية، الديانتين اللتين ظلّ الأصنام والأوثان والمظاهر الطبيعية مع أنهم كانوا يرون أن هنالك خالقاً وإذا اشركوا النظرة عندهم، قال تعالى « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»(لقمان، ٢٤).[٤١]

نرى أن العصبية قد قادت بعض الناس إلى الشرك بالله . القرآن يتذكر هذا الرادع لقبولهم الحق و يقول:وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ(لقمان٢١)

٣٨. جبر، يحيى عبد الرؤوف، (٢٠١٢م) تجليات اللغات الجاهلية في لغة السور المكية ، جامعة النجاح الوطنية ،ص١٨.

٣٩ . نفس المصدر، ص ١٦.

٤٠. الجبوري، يحيى، «شعر المخضرمين و أثر الاسلام فيه»، مؤسسة الرسالة ناشرون ، الطبعة الخامسة، ١٤١٩ ه-١٩٩٨م ص٨٠.

٤١. نفس المصذر، ٧٠.

فنموذجا إنّ الأعشى كشاعر مخضرم و برأى شوقي ضيف: كان غاليا في وثنيته شديد التعصّب لها و لم يقاد الإسلام و لم يكره النبي(ص) بل لان قلبه له، و أوشك أن يسلم لكن رؤوس الوثنية صرفوه؛ فاشترى الضلالة بالهدى و آثر الدنيا على الآخرة.[٤٢] ولاشک أن من يمعن النظر في كتب التاريخ و الأدب الجاهلي، يجدها حافلة بالعديد من المذاهب الباطلة، و الخرافات التي كان عليها الجاهليون، و التي تؤكد انغلاق العقل الجاهلي عن التعليل الدقيق، وربط الأسباب بمسبباتها الحقيقية. ويبدو أن صفة الخوف من المستقبل، و من الأمور المبهمة كانت هي الغالبة على عقلية العرب في الجاهلية، وإن في معتقداتهم ومذاهبهم ما يُبنيء عن معنى هذا الخوف، فعندما خاف الإنسان في الجاهلية من الفقر أو العار، أو من عيبٍ خلقي لجأ إلى الوأد، و عندخوفه من خسارة تُمنى بها تجارته لجأ إلى التطيّر. و هو في الأصل نوع من الزجر بالطير، يقوم على مراقبة حركات الطيور، فإن تيامنت دل تيامنها على فأل، و إن تياسرت دل تياسرها على شؤم.[٤٣]

٤-٥- عصبية الانتماء و الانتساب

دراسة النصوص الأدبية و الثقافة السائدة في العصر الحاهلي ترشدنا إلى أن العرب الجاهلي كان يتعصّب للانتماء و الانتساب فنرى أن المنازل و الاماكن و اللهجات و كثير من الاشياء المصنوعة بيدهاكالسيف و السنان، و السفن و ما يضرب به المثل منسوبة إلى بانيها و صانعها أو إلى قبيلة ما. فإنّ طرفة عندما أراد أن يصف القافلة يستخدم الانتساب و يقول:

كأن حدوج المالكية غذوة خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين بن يامن يجور به الملاح طورا و يهتدي [٤٤]

والشنفرى في إبائه المنّة و الصبر على الجوع يصف نفسه و يذكر الفتيلة المشهورة و المنسوبة بقبيلة مارية و يقول:

و أطوي على الخمص الحوايا كما انطوت خيوطة ماري تغار و تفتل[٤٥]

و في تاريخ الأدب العربي، ينسب اللهجات إلى اسم القبائل ويقال «على لغة تميم» أو «على لغة هذيل» و ما شابهها» .كأنّه هذا الانتساب يعين هوية المنسوب . ناهيک أنّ

---

٤٢ غازى طليمات، الادب الجاهلي، قضايا ـ أغراضه ـ أعلامه ـ فنونه، بيروت، دارالفكر ، ٢٠٠٧، ص٣٩٢.

٤٣. جبر، يحيى عبد الرؤوف، (٢٠١٢م) تجليات اللغات الجاهلية في لغة السور المكية ، جامعة النجاح الوطنية ، ص٢٠.

٤٤. الزوزني، حسين،(د.ت)، شرح المعلقات السبع ،بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت) ص٣٩.

٤٥. الزوزني، حسين(د.ت) المجاني الحديثة ، بيروت، دار المشرق،(د. ت) ح١، ص ٤)

في انتساب أبناء المجتمع كانوا ينسبون الفرد بأبيه فقال الشاعر الجاهلي، عروة بن الورد:

أقلّي عليّ اللوم يا بنت منذر و نامي و إن لم تشتهي النوم فاسهري[٤٦]

و عنترة بن شداد في معلقته المشهرة يخاطب عبلة بانتسابها إلى أبيها(مخرم) و يقول:

حَلَّتْ بِأَرض الزَّائِرينَ فَأَصْبَحَتْ عسِراً عليَّ طِلاَبُكِ ابنَةَ مَخْـرَمِ

و في وصف مطيته يمدح انتسابها إلى قبيلة الشدن و يقول:

هَل تُبْلِغَنِّـي دَارَهَا شَدَنِيَّـة لُعِنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّرابِ مُصَـرَّمِ

وإذا أرادوا هجو الفرد لا ينسبوه إلى الأب الخاص فلذلك قد خوطب عبيدالله بن زياد بـــ « إبن مرجانة». أو «إبن زياد». نعم إذا أراد العرب أن ينسب نفسه قد ينسبه إلى أمّه أو إلى الصفات المشتهرة في قبيلته.

٢-٦- العصبية الإيحابية ــ عصبية اللغة

معلوم أنّ هذه العصبية ذو وجهة إيحابية لأن الحفاظ على النسب و الالتزام برعايتها تطرد فقدان الهوية في المحتمع كما أنّ التعصّب على اللغة أيضا ذو أثر ايجابي، إذ اللغة هي العنصر الرئيسي التي تعمل على حفاظ الوحدة و تماسك المجتمع و ذلك من خلال اداء دورها كأداة رابطة بين جيل و جيل، و الكاشف عن عادات المجتمع و مستوياته الثقافية. و قد قيل:«ان اللغة هي اول ثابت من ثوابت الهوية المجتمعية ، فهي العنصر المركزي الذي يجعل من جماعة معينة تمتلك خصائص و مميزات تختلف عن باقي الجماعات، هذا لان اللغة ترتبط بشكل قوي بهوية الانسان فهي الوعاء الحافظ لتاريخه و تراثه».[٤٧]

و بعبارة أخرى: اللغة هي لسان الجماعة و مرآة فكرها و منجم عطائها و الملح الرئيسي لخصوصيتها. اللغة جزء لا يتجزّء من ماهية الفرد و هويته كما أنّها تغلغل في الكيان الجماعي و الحضاري لأيّ مجتمع بشري و تنفذ إلى جميع نواحي الحيآة فيه لأنّها من مقومات وحدة الشعوب .

ناهيک أنّنا لا نشكّ في فضل الاسلام في الحفاظ على إصالة اللغة العربية و على ألفاظها و نبضها ليس كمثله فضل.[٤٨]

---

٤٦ نفس المصدر، ص ٧٠.

٤٧. صبرينة مزياني، علاقة اللغة بالمجتمع – واشكالية التواصل اللغوي في المجتمع، الجزائر ، المركز الدمقراطي العربي، الجزائر ،٢٠١٧. نقلا عن : نور الدين صدار، دور اللغة العربية في الحفاظ على مقومات الهوية القومية و كسب رهانات و تحديات العولمة.

٤٨. كريمة محمد كربية، (٢٠١٥) ، اللغة و الهوية، مجلة الآداب، الرياض، جامعة الملک سعود.

٥- موقف الإسلام إزاء العصبية الجاهلية

«وينبغى أن نعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذى هو ضد العلم و نقيضه، انما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب و الترق، فهى تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله جلَّ و عزّ و مايطوي فيها من سلوك خلقى كريم. ودارت الكلمة فى الذكر الحكيم والحديث النبوى والشعر الجاهلى بهذا المعنى من الحميّة والطيش والغضب ففي سورة البقرة (خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين) و فى الحديث النبوى أن الرسول (ص) قال لأبى ذرّ وقد عيّر رجلا بأمه : «إنک امرؤ فيک جاهلية» . وفي معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي:

ألا لا يجهلن أحدُ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومن وجوه الاتجاهات الجاهلية هي العصبية الدافعة إلى المفاخرة بين القبائل يعني الظاهرة النفسية و الاجتماعية الّتي ذهب بها الإسلام. فالقرآن يندّد المفاخرة بعدد أفراد القبيلة و يقول « ألهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر(التكاثر، ١) معلوم أنّ إبتداء الآية باستخدام كلمة «ألهى» بمعنى الإنصراف عن الحق[٤٩] يدلّ على موقف الإسلام لهذه الظاهرة الجاهلية. لايخفى أنّ هذه العصبية ما انمحت بكاملها بعد الإسلام فنرى أنّ جرير مع اعتناقه الإسلام يتعرض الانتساب إلى القبيلة و يهجو خصمه و يقول :

فغضّ الطرف إنّک من نمير فلا كعبا بلغت و لاكلابا

هذا بيت مأثور أدرك فيه غاية الهجاء للراعى النميرى إذ يدعوه ان ينكس نظره ويخفض جبينه ذلا ومهانه لانتسابه إلى النميرين الأذلاء؛ فهم لم يبلغوا منزلة كعب (قبيلة والدته) ولا كلابا (قبيلته).[٥٠]

و في إزاء ظاهرة الثأر يؤكد على الاحتراز فى الإسراف في القتل و القصاص و يقول « وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (المائدة، ٤٥)

كما يتعرّض عصبية بعض الناس في الدفاع عمّا اعتنق عليه آبائهم و يندّد هذه العصبية ويقول: :

«وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ(المائدة، ١٠٤)

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ» (الاعراف، ٢١)

---

٤٩. الرازي،فخرالدين، ١٩٩٠،التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،ج ٣٢ ،ص ٧٤.

٥٠) ويكيبيديا، الموسوعة الحرّة

إنّ تعاليم الإسلام -عبر تاريخه الطويل- لايعتبر «القومية» كوحدة اجتماعية ينتمي إليها الفرد، و يعتبر بمكارمها، ويسعى في خدمتها، كما لا ينكر الإسلام لحب المرء لأمته، و حنينه لوطنه. فالرسول (ص) قال يوم فتح مكة، حين عاد اليها منتصراً :« والله إنک لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، وأحب ارض الله إلىَّ، ولو لا أن قومي أخرجوني منک ما خرجت» . الإسلام يرفض مبدأ القومية أو الوطنية التي تجعل ولاء الفرد و إخلاصه للمصلحة القومية قبل أى اعتبار آخر من دين أو خلق أو عدالة فهو إما أن ينتصر لعنصره وجنسه، ويعتز بلونه، أو ينتصر لسياسة دولة مهما كانت خاطئة أو جائرة تجاه الدول أو الأمم الأخرى.[٥١]

إنَّ عصبية العشيرة والقوم والجنس واللون والأرض كما يقول الأستاذ سيدقطب « عصبية صغيرة متخلفة ... عصبية جاهلية عرفتها البشرية في فترات انحطاطها الروحي».[٥٢] الإسلام يهتم بالصلة بالأسرة و ينهى الاختلاف المؤدية إلى الفطيعة، و يؤكد على الوحدة و الإتفاق بين المسلمين في المسائل الإعتقادية و الإجتماعية و السياسية وعلى هذا للعصبية وجه ايجابية حيث تدلّ علي هوية الفرد فلذاک نرى أن الإمام زين العابدين في خطبته المشهورة و على الأسلوب السائد آنذاک (الموروثة من قبل) عندما يريد أن يعرّف نفسه يذكر أجداده و أباه و يتطرّق إلى ذكر مآثر أسرته و يقول أنا من دنى فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى.... و يوصي الامام جعفر الصادق(ع) بالصلة و يقول: صل من قطعک.[٥٣]

و في تعريض القرآن لما يعتقد اليهود بأنّهم أفضل الناس على العالمين، لقد صرّح بأنّ أكرم الناس هو أتقاهم و هذا خير دليل على مساواة الناس و تنديد الرقية و العنصرية.و في يومنا هذا قد تسببت العصبية الكوارث العديدة من إنتهاكات حقوق الإنسان، والنزاعات والمواجهات المسلحة وغياب العدالة الإجتماعية، لذلک فإنّ توظيف المحسوبية والمنسوبية والطائفية والقومية إنما محركها الأساس هو العصبية القومية " كردي، عربي، تركماني، " والعصبية الطائفية " سني - شيعي، مسلم – مسيحي والعصبية القبلية " بنو فلان. وفي تنديد العصبية قد قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(ع) :" فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ ونَخَوَاتِهِ، ونَزَغَاتِهِ ونَفَثَاتِهِ؛[٥٤] لأنّ العصبية

---

٥١ احمد محمد جمال، محاضرات فى الثقافة الاسلامية، بيروت، دار الكتاب العربى ، ١٩٨٣، ٣٥١.

٥٢. نفس المصدر، ص١٩.

٥٣. حسن حراني،تحف العقول، قم، آل علي ،١٣٨٢، ص٣٠٥.

٥٤.ابن ابى الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، بيروت: دار احياء الكتب العربيّة.١٣٨٥، خطبة ١٩٢.

ذات أضرار على الفرد والمجتمع منها: عدم الاعتناء بتوجيهات الآخرين، استباحة حقوق الأخرين و هم نظيره في الخلق، إزدراء من لاينتمي إلى قومه و قبيلته أو إلى ما اعتنق به. تجذير العداوة و البغضاء بين أبناء المجتمع، نشوب الفتن و تعطيل التعاون بين الناس.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه و عنه صلى الله عليه وآله: من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية.[٥٥]

.و قد قال الإمام على ابى طالب(ع) عن العصبية فيندّد بعض العصبيآت و يؤكّد على بعضها : « ولقد نظرت فما وجدت أحدا من العالمين يتعصب لشئ من الأشياء إلا عن علة تحتمل تمويه الجهلاء ، أو حجة تليط بعقول السفهاء، غيركم، فإنكم تتعصبون لأمر ما يعرف له سبب ولا علة (مس يد علة)، أما إبليس فتعصب على آدم لأصله، وطعن عليه في خلقته، فقال :أنا ناري وأنت طيني، وأما الأغنياء من مترفة الأمم فتعصبوا لآثار مواقع النعم، فقالوا: نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين؛ فإن كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور، التي تفاضلت فيها المجداء النجداء من بيوتات العرب، ويعاسيب القبائل، بالأخلاق الرغيبة، والأحلام العظيمة، والأخطار الجليلة، والآثار المحمودة. فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للحوار، والوفاء بالذمام، والطاعة للبر، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل، والكف عن البغي، والإعظام للقتل، والإنصاف للخلق، والكظم للغيظ، واجتناب الفساد في الأرض.[٥٦]

و قيل إنّ أصل هذه العصبية و هذه الخطبة أنّ أهل الكوفة كانوا قد فسدوا ،في آخر خلافة أمير المؤمنين و كانوا قبائل في الكوفة فكان الرجل يخرج ن منازل قبيلته فيمرّ بمنازل قبيلة أخرى فينادي باسم قبيلته : يآ للنخع مثلا أو يا لكندة نداءً عاليا يقصد به الفتنة و إثارة الشرّ فيتألّب عليه فتيان القبيلة الّتي مرّ بها فينادون يا لتَميم! يا لربيعة .... فتسلّ السيوف و نثور الفتن.[٥٧]

ناهيک أنّ العصبية القلبية، هي جوهر الخلاف الذي فرق أمر الأمة الإسلامية، فإن الإسلام قد حارب هذه العصبية الجاهلية بكل قوة ومن غير هوادة وأنذر الرسول منها وسد منافذها، فلا بقاء للأمة الواحدة مع العصبيات القبلية و الطائفية فالإسلام قد حارب العصبية القبلية حربا عنيفا حتى فقدت عصبية الدم العمياء حدتها، غير أن جذور

٥٥. الرى شهري، ميزان الحكمة.
٥٦. المعتزلي، ج١٣،ص١٦٦.
٥٧. نفس المصدر، ص١٦٨.

العصبية القبلية لم تختف تماما، بل كانت تبرز بين الحين والحين في أنحاء مختلفة من العالمي الإسلامي.[٥٨]

٦- النتائج

للعصبية وجوه إيجابية لأنّها كانت مصدر القوة السياسية والعسكرية و يكمل مهمتها الهادفة إلى الحفاظ على كيان القبيلة؛ ففي العصر الجاهلي لها دور رئيسي في الحفاظ لكيان القبيلة من جهة فتدفع أبناء القبيلة الى التضامن و الالتفات حول القبيلة. أما الوجوه السلبية في الجاهلية فهي المغالاة في الأخذ بالثأر حيث قد يؤدى الى الإباء في أخذ الديه عن ذوو القتيل.

العصبية بالأحساب و الأنساب قد ارتقى بالاعتزاز الشديد و خلق القداسة، و معلوم أنّ القداسة توجب التقديس فيهتمّون الجاهليون بها و شعراءهم ينشدونها في آغراضهم الشعرية و قلّما يجرؤ أحد أن يتعرّض له.

في إطار العصبيات كان العرب و لا يزال يتعصّب على لغته العربية و هذه العصبية تعدّ من وجهات الإيحابي للعصبية لأنّها تساعد أبناء المجتمع أن يحفظوا تقافتهم الأصيلة خاصّة في زمن إعتداء العولمة على الثقافات.

الإسلام يرفض العصبية القومية قبل أى اعتبار آخر من دين أو خلق أو عدالة فهو يندّد بعض الظنون بوصفها ظنّ الجاهلية أو حكم الجاهلية.و لكن يؤكد على الوجه الإيجابى للعصبية فى حب الوطن و الحفاظ على وشائج الأسرة و استخدام أسلوب الانتساب إلى الآباء و الأجداد.

٥٨. معراج احمد الندوي، صحيفة المثقف، العدد: ٤٨٦٢.

المراجع

١.القرآن الكريم
٢.احمد أمين، فجر الإسلام، ط١٠، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩.
٣.احمد فاروق، إسليم، الانتماء في الشعر الجاهلي ، بيروت، اتحاد الكتاب العرب،١٩٩٨.
٤.احمد محمد جمال، محاضرات فى ثقافة الإسلامية، بيروت، دار الكتاب العربى ١٤٠٣.
٥.باقر شريف القرشي، النظام السياسي في الإسلام، بيروت، دار التعارف للمطبوعات ،١٩٨٢.
٦.جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ط٢، مصر، مطبعة الهلال، ١٩٧٢.
٧.جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٣.
٨.جواد،على، المفصل في تاريخ العرب، بيروت ، دارالساقي، ١ج١، ٢٠٠١
٩.حسن حراني، تحف العقول، ايران، قم، آل علي، ١٣٨٢ .
١٠حسين الزوزني، شرح المعلقات السبع ،بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).
١١. الري شهري ، محمد، ميزان الحكمة، قم : دار الحديث، ١٣٨٩.
١٢.سقال، ديزيره، العرب في العصر الجاهلي، بيروت، دار الصداقة العربية، ١٩٩٥.
١٣.ضيف، شوقى، تاريخ الأدب العربى العصر الجاهلي ، مصر، دار المعارف، ٢٠٠٠٣.
١٤.على مصطفى عشّا،جدل العصبية القبلية والقيم في نماذج من الشعر الجاهلي، الاردن، الجامعة الهاشمية، الزرقاء، (د.ت).
١٥.غازى طليمات، الادب الجاهلي، قضايا- أغراضه - أعلامه - فنونه، بيروت، دارالفكر، ٢٠٠٧.
١٦.فؤاد أفرام البستاني، المحاني الحديثة، بيروت، دارالكتاب (د. ت).
١٧.فيليب حتّى، فيليپ، وادوارد جرجى و جبرائيل جبوز ، تاريخ العرب، بيروت، دار الكشاف، ١٩٦٥..
١٨.محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، بيروت، دارالرفاء، ١٤٠٢.
١٩. المعتزلي، ابن أبى الحديد، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم، بيروت: دار إحياء الكتاب العربي، ١٩٩٧م.
٢٠.يحيى عبد الرؤوف جبر، تجليات اللغات الجاهلية في لغة السور المكية ، جامعة النجاح الوطنى،٢٠١٢.

٢١.يحيى الجبورى، شعر المخضرمين و أثر الإسلام فيه، رسالة ماجيستر مجازه من جامعة بغداد، مكتبة خاصة عبد اللطيف عبد الله المحمد على. ١٩٧١.
٢٢.يوسف ابوزيد ،كفافي، منذر ذيب، الأدب الجاهلي، دار الميسرة للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠١٠.
المقالات
١.صبرينة مزياني، علاقة اللغة بالمجتمع – واشكالية التواصل اللغوي في المجتمع، الجزائر ، المركز الدمقراطي العربي، ٢٠١٧.
٢. كريمة محمد كريبة، مجلة الآداب، اللغة و الهوية، الرياض، جامعة الملک سعود.
المرجع الالكتروني
١.ويكيبيديا، الموسوعة الحرّة